DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

تداخل السيّري بالتخيّيلي في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" للكاتبة حياة الرايس

م.د. اسراء سالم موسى
كلية التربية للبنات ـ جامعة القادسية ـ العراق
الايميل: israa.salim@qu.edu.iq

الملخص

إن مما لا خلاف فيه أن هناك رغبة تدفع بعض الكُتّاب إلى توثيق حياتهم من خلال كتابتها إما من خلال الكتابة السير ذاتية الصريحة أو من خلال نصوص سردية قصصية أو روائية، تستند في حادثتها استناداً شبه كلّي على وقائع سيرية على اعتبار أن التجارب والخبرات التي يكتسبها الكاتب تساعده في جعل نصه القصصي يتحرك في إطارها، وتخلص رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" لفن السيرة الذاتية إخلاصاً تاماً؛ إذ تسلّم الروائية حياة الرايس مقاليد السرد السيرذاتي للذاكرة المكتنزة بالأحداث والمواقف وتعطيها الحرية كاملةً في سرد الأحداث، مما يجعل الذات الحكائية تتجلى بصورة واضحة للقارئ في فضاء الحكاية.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى قراءة التداخل الأجناسي بين فنّين متباينين سرديّاً هما "السيرة الذاتية" و"الرواية" من خلال قراءة (الموجهات الداخل نصية المتمثلة بـ(الشخصية، والأحداث، والمكان) والموجهات الخارج نصية المتمثلة بـ"العتبات بوصفها موازيًّاً سيريّاً روائياً" تقوم عليها الرواية السيَّرية والتي أفصحت عن مظهر من مظاهر التفاعل الأدبي والتقارب الأجناسي بما يُشكل فضاءً أدبياً مشتركاً يسعى إلى الاكتمال بالآخر، وتتمثل بـ"العنوان، العنوان الموازي، المقدمة، الاستهلال ، الإهداء، الغلاف ".

الكلمات المفتاحية: السيّري في الرواية، التخيّيلي في الرواية، بغداد وقد انتصف الليل فيها، حياة الرايس.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

Al-Siri Overlapped with Imagination in the Novel "Baghdad with Half the Night in It" by Hayat Al-Rayes

Dr. Isra Salem Salem Musa
College of Education for Girls - University of Qadisiyah - Iraq
Email: israa.salim@qu.edu.iq

ABSTRACT

There is no dispute that there is a desire that motivates some writers to document their lives by writing them either through writing explicit biographies or through narrative or fictional narrative texts, based in its incident almost entirely based on the facts of the story given that the experiences and experiences that the writer acquires It helps him to make his narrative text move in its frame, and the novel "Baghdad with Midnight in It" is completely devoted to the art of biography; As the novelist Hayat Al-Rayes takes over the reins of the Sarthi narration of the chunky memory of events and situations and gives it complete freedom in narrating events, which makes the narrative self clearly visible to the reader in the space of the story.

This paper seeks to read the heterosexual interplay between two narratives that are narratively different, namely "biography" and "novel", by reading (the internal textual directives of (personality, events, and location(

The external directives are textual represented by "thresholds as a parallel narrative narrative" on which the narrative narration is based, which revealed a manifestation of literary interaction and sexual rapprochement, forming a common literary space that seeks to complete the other, and is represented by "the title, parallel title, introduction, initiation, dedication, cover".

Keywords: Al-Siri in the novel, the imaginary in the novel, Baghdad with Half the Night in It, Hayat Al-Rayes.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

المبحث الأول: مقاربة في التجنيس والتداخل

إن التصنيف الاجناسي الذي سطرته الكاتبة على الغلاف الخارجي بكلمة "رواية" يدعونا إلى احترام هذا التجنيس وأخذه بعين الاعتبار، على الرغم من أدلّتنا على سير ذاتية النص تؤكدها الكاتبة وحسب مجموعة من الإشارات الميثاقية المتنوعة والكثيرة في النص التي تؤكد تفوّق الجانب السيرذاتي على الجانب الروائي ولعل اشهرها ما صرحت به في الصفحة الخامسة من روايتها أن ما كتبته هو "رواية سيرة شخصية"(الرايس،2018: 5) ، ولأن المتخيّل يؤدي دوراً بارزاً في شحن الأحداث السير ذاتية بطاقة سرد روائية، فإن التجنيس المناسب للنص هو "رواية سيرذاتية" تقف عند برزخ يأخذ من هذين النوعين من الكتابة من خلال التلاقح بينهما لتقدم لنا بعدها رواية وثائقية لذات إنسانية في زمان ومكان محددين على نحو دقيق لانتمائهما إلى التاريخ الماضي لشخصية الكاتبة "فالمادة الحكائية المسرودة تشتمل على نوعين من الابداع، الأولى: مادة ذاتية والثانية ومادة متخيّلة وبالمزج بين مادتين الذاتية والمتخيّلة يتولد النص الهجين الذي يطلق عليه بـ"الرواية السيرذاتية".(النابي،2011: 47)

وبذلك فقد قدمت لنا حياة الرايس نتاج إبداعي خرج على الأطر الصارمة التي قعدها فيليب لوجون للسيرة الذاتية الذي حول دراستها إلى ما يشبه المعادلات العلمية التي تنفي التنوع والاختلاف والتجديد والتجريب وترفض المرونة التي يجب أن تنظر إلى الأعمال الأدبية الإبداعية على أنها أعمال متطورة وغير قارة. (البارديّ،1997: 68)

وقد عرف لوجون السيرة الذاتية بأنها: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز فيه على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته".(لوجون،1994: 22، 23)

وبالعودة إلى رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" نجد أن كل ما ذكره لوجون ينطبق عليها ولكن الكاتبة اختارت الشكل الروائي لإيصال تجربتها ولتكون أكثر حرية في التعبير، فشكل اللغة نثر ، والموضوع هو حياة فردية وسيرة ذاتية للكاتبة للفترة التي قضتها طالبة في بغداد أبان حكم صدام حسين و الحرب العراقية والإيرانية وحوادث هذه الحقبة بكل تفاصيلها، البداية كانت بين شوارع تونس و أزقتها العتيقة بين الأم الأسطورية "بيه" والعمة "دوجة" والعائلة المتكونة من ثمانية اخوة واخوات تجمعهم شقّة واسعة بحيّ "السانتارين والمدرسة الابتدائية "الحبيب ثامر" "بباردو " لتنتهي إلى السكن الجامعي بمنطقة "الوزيرية" و على ضفاف دجلة؛ لذا فإن هناك من يرى أن السرد في مثل هذا النوع يكون "نمط من السرد المقصود الذي يلاحق سيرة الإنسان من داخل الإنسان نفسه يعتمد الاسترجاع الذي تتداخل فيه المواقف، والأحداث مشكلة خطاب الذات، وهو يتتبع وجوداً يُعاد إنتاجه على الورق".(التميمي، 2018 :16)

فهي رواية تنطوي على حياة كاتبتها كلّها ومن خلال التجسيد العيني لأحوال هذه الذات فقد كشفت عن دلالة إنسانية عامة تتعلق بحضور المرأة التي ترى أنها يجب أن تعيش لنفسها لا أن تعيش من أجل الآخر فحسب، وهو أخطر أنواع الاغتراب عن الذات في عينها،" كنت أبحث عن مشروع إبداع وتسام..كنت أريد أن أنجب ذاتي باستمرار، كما أنجب الأولاد... مشروع يخرجني من محدوديّة الوظيفة الجنسيّة إلى أفق الإنسان... به أنجب امتدادي الزّماني والمكاني وأعطي لمراميَ وأحلامي جسدا لا يشيخ." (الرايس،2018: 73، 74)

هكذا حاولت حياة الرايس أن تؤكد وجودها كائناً سيريّاً بتحويل ذاتها إلى موضوع لروايتها لتجعل من الضمير المتكلم السارد ضميراً سيرذاتياً صافياً ومتطابقاً تماماً مع ما تسرده من أحداث، فالسرد بضمير المتكلم هو حديث الشخصية عن نفسها فاختيار ضمير من هذه الضمائر الثلاثة لا يمكن أن يكون اعتباطيًا، وإنما نَميل إلى أنهُ ناتج عن اختيار واعٍ.(العمامي،2001: 89)

وبذلك تنزاح الرواية لتغدو سيرة ذاتية مموهة بالسرد الروائي تتغذى من الذكريات لتصبح سيرة روائية استلهمت الكاتبة فيها عناصر أساسية من الشكل الروائي لتعيد صياغة تجارب حياتها المتنوعة للكشف عن جماليات الحياة التي عاشتها في بغداد بطريقة دمجت فيها المادة الذاتية بالمادة المتخيلة لتسهم في ثراء الفضاء السردي وانفتاحه مما يُكسبه شعرية وجمالية.

ويمكن القول أن اختيار الكاتبة للقالب الروائي في كتابة سيرتها، يرجع لسببين هما: الأول: يُمَكنها من التعبير عن سيرة الأماكن والأشخاص والأحداث التأريخية التي يُعاب على كُتّاب السير الذاتية الإسهاب فيها لأنه يبعدهم عن الغرض الأساسي لكتابة السيرة الذاتية وهو:الحديث عن الذات، وثانياً: يمنحها حرية أكبر في الإدلاء بالمعلومات التي تخص مجتمعها وواقعها وحياتها.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

إن استثمارنا لعناصر المطابقة في العمل لم يأتِ من تقويل للعمل أو تأويل دون مستندات نصية بل عبر ما تضمنته الرواية نفسها، حيث تتشكل شخصية "حياة الرايس" داخل الرواية على شكل لحظات تعترض وعي كاتبتها وتفرض حضورها عليها، وهذا مارآه ميخائيل باختين الذي تحدث عن الشكل السيري للرواية أو القصة؛ إذ رأى أن الموضوع في مثل هذا الشكل "يُنبئ عن لحظات نموذجية وجوهرية من كل حياة بشرية". (باختين،1994: 73)

فضلاً عن علاقتها بالأزمنة والأمكنة والشخصيات ومعلومات من خارج النص داعمة لموقف الذات السيريّة الساردة،"فالأدب القصصي الذي هو في جوهره تكنيك لتقديم التجربة عبر صور الأحداث الواقعية بنظامها العام ، وليست بالضرورة بشكل تفصيلي" (كومفورت،2005: 32) ولكن "حياة الرايس" -المؤلفة والساردة- عزمت على تقديم الكثير من أحداث تجربتها الذاتية بشكلٍ تفصيلي كما حصلت على أرض الواقع وهذا شكل إشارات صريحة وواضحة، أوردتها الكاتبة في نصها اعترافاً بالمرجعية السيرذاتية لعملها الروائي.

المبحث الثاني: المرجعيات السيَّريّة للنص الروائي (الشخصية، الأحداث، المكان)

الشخصية:

تشكل الشخصية العماد الذي يستند عليه أي عمل سردي، وفي هذا النوع من الأعمال الروائية التي يتم تهجينها مع السيرة الذاتية فإن الحكاية فيها تدور حول شخصية تروي ذاتها السيَّرية الواقعية عبر جسر المتخيّل (عبيد،2005: 139) ،وتتحول إلى محور للعالم الروائي. (الكردي،2006: 133)

لقد أعلنت الكاتبة أن شخصيات روايتها هي شخصيات واقعية ، "وسيرة أشخاص عاشرتهم وعاصرتهم... بيني وبينك أيها القارئ وذاكرة مشتركة تُقرب بيننا" (الرايس،2018: 5) في ميثاق قائم يكشف عن تداخل السيَّري بالروائي، وأعلنت عن اسمها الحقيقي في أكثر من موضع في الرواية، "قاطعني فجأة ورفع سبابته في وجهي وقال لي:" شوفي حياة إنت لازم تكتبي شيء يوم الرواية، أحسست كأن هذه الجملة كتبت على جبيني من حينها، أو كأنما كان يقرأ جملة كتبت على جبيني." (الرايس،2018: 192)

وأكدت الاسم مراراً من خلال ذكر اسم العائلة مع اسمها ليوثق التطابق بين الاسمين: الاسم المتموضع على الغلاف الخارجي للرواية، واسم الشخصية البطلة/ والراوية التي تتولى السرد داخل الرواية.

"فكنت أذهب إلى دار الجماهير للصحافة والإعلام وأبعث لهم بعض المراسلات بالفاكس من هناك. وكنت أوّقع تحت كل نصّ "حياة الريّس" كما كان يختزل إسمي في الشرق" (الرايس،2018: 204)

وذكرت شخصيات روايتها بأسمائهم الصريحة، وسيرهم والأحداث التي عاشوها كما حدثت على ارض الواقع، وبهذا فقد التزمت بما اشترطه الناقد إبراهيم عبد الدايم لمن يريد صياغة سيرته في قالب روائي؛ إذ يقول: يجب "أن يفصح الكاتب عن اسمه على أنه هو نفسه البطل الحقيقي لأحداث روائية ، وأن يعمد إلى الإفصاح عن أسماء الشخصيات والأماكن والتواريخ ويستمسك بالحقيقة التاريخية في كل جزء من أجزاء ترجمته الروائية ، ولا يلجأ إلى التخفي والتواري، أو إلى إنكار اسمه واستعارة اسم آخر له، أو أسماء أخرى لبقية الشخصيات".(الدايم،1974: 476)

وما يُفسر حضور الشخصية في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" هو إننا نرى كل شيء من خلال عيني بطلة النص أي من خلال ما ترويه حياة الرّايس بوصفها راويّاً مهيمناً على فضاء السرد، وهذا يقع ضمن الطريقة التي تحدث عنها مورو التي تعد أقرب الطرق لمن يسرد ذاته في قالب روائي. (مورو،1987 :53)

وأسهمت الشخصيات إسهاماً فاعلاً في بناء أحداث الرواية، وتحركت بين مراحل حياة البطلة بطريقة توثق الجانب المرجعي في الرواية؛ لذا لا يمكن جهل أدوارها، لأنها لعبت دوراً مهماً في حياة الشخصية البطلة؛ فمن خلال هذه الشخصيات تبرز الفرادة والتميز الذي تتمتع به شخصية "حياة"، ووجود الحوار بوصفه عنصراً مهماً يكشف عن الوقائع السيرية وأبعاد الشخصية المركزية، ومن خلال "حياة" تتكشف أسرار هذه الشخصيات، فهي تعمل على منح الشخصيات المحيطة بها، فرصة التعبير والتحدث والاعتراف وكشف الأسرار والإعلان عن قضايا إنسانية مختلفة.

وابتداءاً من بيت العائلة الذي يعد المحطة الأولى في بناء الشخصية فإن شخصيات هذه العائلة كان لها الأثر العظيم في حياة الكاتبة الاجتماعية والفكرية؛ لذا تحدثت بصدق عن باطن هذه الشخصيّات وخفاياها، لدورهم الأساسي في نحت معالم شخصية "حياة" وبلورتها، وأهم هذه الشخصيات هي: الأب والأم والخالة "بيه" التي

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

تسميها دائماً "أمي بيه" لأنها تربت في كنفها،

" كنت بكرة أمّي وكبيرة ثمانية إخوة: ثلاثة شباب:(فهري ويوسف ومحمّد، الذين ولدوا بنابل) وخمس بنات: (زينب وروضة وألفة، وسارّة وهاجر: اللّتين سمّيتهما بنفسي) كلّهنّ ولدن بتونس العاصمة. كنت بمثابة أمّ ثانية لهم أرعاهم وأحبّهم وأشعر بمسؤولية فائقة تجاههم. عشّ، دافئ، تجمعنا شقّة واسعة بحيّ "السانتارين " في "باردو" إحدى الضواحي الرّاقية لتونس العاصمة والتّي كانت منتجع البايات العثمانيّين سابقاً، تعيش معنا "أمّي بيّة "وعمّتي دوجه " أخت أبي الكبرى التّي طلّقها زوجها بسبب عدم قدرتها على الإحتفاظ بالضنا في رحمها... فربّتنا وأحبّتنا كما لوكنّا أبناءها وأكثر." (الرايس،2018: 17-18)

إن ورود أسماء أفراد العائلة بأسمائهم الصريحة وأعداهم الحقيقية ماهي إلا تعزيزاً للمرجعية السيَّرية للنص، وزادها تعزيزاً ذكر أسماء شخصيات واقعية من عائلة وأقرباء الكاتبة، وهم:

"فاطمة"(الأم)،و"حمّادي"(الخال)، "علي بن عثمان"(الجد) من الأم، وشلبيّة بنت البي(الجدة)، "للّاعويشة"(الزوجة الأولى للجد)، و" للّامحبوبة (الزوجة الثانية للجد)، وللّازبيدة (الزوجة الثالثة للجد) (الرايس،2018: 21،22)، و"هشام القروي" (الزوج). (الرايس،2018: 228)

أما الشخصيات العامة في الرواية فهي كثيرة وأغلبها معروفة عند القارئ ومن هذه الشخصيات:

جبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف وهما الروائيين المعروفين في عالم السرد والأدب، تقول عنهما: "وكانا أهم حدثين أبتدئ بهما حياتي الصحفيّة/الأدبيّة في العراق." و د.ياسين خليل، د.مدني صالح، د.صالح الشمّاع، د.جعفر آل ياسين، د.حازم مشتاق، د.عبد الأمير الاعسم، د.ناجي التكريتي، د.عرفان عبد الحميد، د.فاتن ،د.أميمة، د.سهيلة ، وهم أساتذة قسم الفلسفة/جامعة بغداد الذين تلقت حياة الرايس علوم الفلسفة على أيديهم؛ إذ تقول:"وأبقى مدينة لكلّ واحد من هؤلاء الفلاسفة، الذّين تعلّمت عليهم بأن الاحتكام للعقل يجنبنا الوقوع في مغبة (القبليات)، وأنّ إعمال الفكر بداية طريق الحكمة، وأنّ الشّك المنظّم أوّل درجات البحث عن الحقيقة، وأن لا أخاف من عقلي ومن الأسئلة، بهذه المخرجات المدرسيّة والوصايا المنهجيّة تتبدّى القيمة التنويريّة لفلاسفة بغداد، ولكلّ منهم مقام سام في وجداني وفي عقلي." (الرايس،2018: 145)

وماجد السّامرائي الكاتب والناقد الكبير الذي كان مشرفاً في دار الجماهير للصّحافة والإعلام على ملحق "آفاق" الأسبوعي لجريدة الجمهوريّة اليوميّة، الذي أخذ بيدها في بداية تجربتها الصحفية وشجعها على إجراء بعض الحوارات مع الأدباء في بغداد "كلّفني بإجراء حوارين في بغداد مع أهّم روائيين عربيّين مقيمان بالعراق: جبرا ومنيف ليكون أوّل حوار أدبي أجريه في حياتي الصحفيّة مع الأديب الكبير جبرا إبراهيم جبرا ثم ثاني حوار كان مع الدّكتور الروائي الكبير أيضا عبد الرحمان منيف".

ولأن الرواية تمزج بين السرد التأريخي والروائي التخييلي والسيري الواقعي مما حولها في جانب منها إلى "وثيقة ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية وتاريخـــية على العصر" (الرايس،2018: 5)، فقد تطرقت إلى ذكر شخصيات سياسية ثوثق من خلالها لبعض الحقائق عن المجتمعات التي عاشت فيها ابتداء من وطنها الأم تونس، وكان لطابع الحياة في العراق الجزء الأكبر من الرواية؛ إذ وردت أسماء لشخصيات كبيرة حكمت العراق أبان الحرب العراقية الإيرانية وبعدها، وآثار حكمهم على المجتمع العراقي.

" حينما أصبح صدام حسين رئيساً للعراق سنة 1979 أصدر جملة من القرارات منها: تعيين صديقه ورفيقه المقرّب مدير المخابرات حينها "سعدون شاكر" على رأس وزارة الدّاخليّة، وتعيين "برزان التكريتي" رئاسة جهاز المخابرات العراقية بعدما كان مساعداً لسعدون شاكر... الفترة التّي ظلّ فيها "برزان التكريتي" في منصب رئيس المخابرات العراقيّة من 1979 ولغاية 1983 كانت أسوأ وأحلك فترة في أيّام العراقيّين، حيث زرع الرّعب في الشّارع العراقي، بل داخل كلّ عائلة، كان يمتلك صلاحيّات مطلقة، وكان فوق القانون، يتصرّف بأموال العراق وتحت يديه ملايين الدولارات" (الرايس،2018: 156-158)

وأحياناً يكون وصف بعض الشخصيات والحوار معهم ممهداً للحديث عن بعض الحقائق، مثلاً هي تكشف للقارئ عن حالة الحذر والخوف التي كان يعيشها العراقيون في ظلّ نظام صدام حسين، لاسيما القوميات غير العربية والأقليات في العراق من خلال حديثها عن الشاب الكردي "سرحد قادر" الذي تعرفت إليه طالباً في جامعة بغداد.

"شاب وسيم اسمه "سرحد قادر"، كان متين البنيّة، طويلاً واثق الخطوة... وفي مرّة دعاني في الاستراحة الصباحيّة أن نتمشى قليلا في ممرّات الكليّة الخلفية، لمّا ابتعدنا قليلاً سألني: إن كنت مرتاحة في العراق؟ وقبل أن يسمع جوابي، قال لي: مستحيل الواحد يكون مرتاح في العراق إن لم يكن بعثيّا. ثمّ سألني مباشرة عن رأيي في حزب البعث وفي معاملة العراقيّين للأكراد وتميّزهم العنصري واحتقارهم للأقليات القوميّة وعدم الاعتراف

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

بحقوقهم" (الرايس،2018: 147-149)

ومن هنا يمكن القول إن المروي في الرواية يتوزع بدرجة كبيرة منه في الحديث عن شخصيات تعمل لحساب أحداث وأوضاع تاريخية عديدة بالدرجة الأساس، وهذا يحقق نوعاً من التعالق بين السرد الذاتي والسرد التاريخي داخل بنية الرواية في تمازج شكلي لا يؤثر سلباً على بنائها بل ينعشه في جو يتصالح به التأريخ مع الرواية لإحياء الذاكرة التي تعمل هي الأخرى لصالح السيرة الذاتية التي أصبحت تفرض نفسها على الأنواع الأدبية، في حقول جديدة تُتيح للمتلقي فرصة البحث عن الجديد والغريب والمدهش في عالم الرواية، وهذه المغامرة السردية تؤدي إلى توسيع آفاق المعرفة، وتسهم في ثراء الفضاء السردي وانفتاحه مما يُكسبه شعرية وجمالية.

الأحداث:

يخضع فضاء الحكي في رواية "رواية بغداد وقد انتصف الليل فيها" لإدارة دقيقة ومحسوبة لحركة الأحداث على النحو الذي يجعل الأحداث تسري في المجال الحيوي السردي بديناميكية ومرونة تحت سيطرة سارده استطاعت المزاوجة بين القدرة الإبداعية وقدرة الذاكرة على استرجاع السيرذاتي داخل حاضنة الروائي.

وفي خضم الأحداث نراها تغتنم الفرصة لتُطلع المتلقي على ماضي الشخصية التي درست في الكتاتيب وأُرغمت على الدراسة فيها برغم حبها للعلم ورغبتها في التعلم، وبالرغم من أنها نهلت علمها ومعجمها الأول منها في تعلم حروف العربية وتفسير القرآن.

"كنت مكرهة جدّا للتردّد يوميّا على كتّاب الحيّ الذي أودعني أبي به عند "سيدي المدّب الدزيري" الّذي كانت عصاه الغليظة لا ترحم و لا تتسامح مع من يتهاون في حفظ القرآن أويخطئ بقواعد اللغة العربيّة المقدّسة، تلك العصا التي ترتفع وتنزل بيد سيدي المدّب في وجوهنا مع إيقاع صوته الجهوريّ الذي يصل حتّى الشارع ونحن نعيد وراءه:" ألف لا شيء عليه ... الباء نقطة من أسفل ... التاء اثنين من فوق والثاء ثلاثة من فوق ...." (الرايس،2018: 59) ربما أرادت أن تخبرنا أنها تعشق الحرية منذ الطفولة حتى في اختيار طريقة التعليم، ولا تريد أن ترضخ لما كان يُفرض على التوانسة أبناء بلدتها من عادات، وهي التي كانت تفلت ممّا يُفرض عليها لتستكشف طلاسم مدينتها وتفك خطابها المتخفي وراء زمكان الإنسان.

"كنّا لا نصدّق متى يحين آذان العصر، ليسرّحنا "سيدي المدّب"ويخرج للصّلاة بمسجد الحيّ نقوم، فنتزاحم على تلك العتبة الصّغيرة ويدفع بعضنا البعض، للبحث عن أحذيتنا لنطلق أرجلنا، الصّغيرة، للرّيح... ونضيع في أنهج حيّنا في "السنتارين" في هستيريا من الصراخ والضحك: "نْعَمْ أسيدي سرّحنا، الله يمدّ عظامك في الجنة..." (الرايس،2018: 61)

إن حيوية التنقلات التي تجسد أحداثاً متنوعة بين مدينتي بغداد وتونس، بغداد التي اكتشفتها الرايس بوعي وإرادة لتحقيق أحلامها، وتونس حيث الطفولة وبيت العائلة والتعليم على أيدي الكتاتيب، كانت عنصراً بنائيا للمسار السردي، للوصول إلى مقصدية الرواية السيرذاتية الذي تجمع بين تقانات النوعين السيري والروائي.

عندما ذهبت إلى كليّة الآداب، للتّسجيل في قسم الفلسفة مع " كتاب الوزارة "، وقد كان يرأسه حين ذاك الدكتور "عرفان عبد الحميد" رحمه الله، استقبلتني سكرتيرة القسم، بدهشة كبيرة وكأنّها أوّل مرّة ترى مخلوقاً على وجه الأرض، ولم أفهم؟ حتّى قالت لي: تونسيّة؟؟؟...قلت لها نعم...طبعاً

قالت: أوّل تونسيّة تدخل عندنا قسم الفلسفة"

تسير حركة الأحداث بطريقة انتقائية وتوجيهية، عبر مكنز الذاكرة المنظور؛ إذ حفلت بالتعدد والتنوع والتداخل على نحو توثيقي، وقد نشرت ظلالها على بقية العناصر، وعمّقت حضورها السردي في شاشة السيرة الذاتية، وهي تنفتح في عرضها على خط سردي يكتظّ بالحكي، ويستند إلى آليات قص وتعديل برعت فيها الرايس، ولنعاين هذا المقطع على سبيل المثال :

"وشخصيّا أنا أدين بداياتي لمجلة " الف باء ". التّي لم انقطع عن الكتابة بها حتّى عندما عدت إلى تونس، في أواخر الثمانينيات سنة (1989) بالذات، وكان قد عهد إليّ بطلب منهم (وقد استوى عودي الأدبي) بكتابة ركن أسبوعي عن بعض قضايا الأدب والفن سمّيته " كتابة على الكتابة "... حتّى أغلقت في سنوات الحصار على بغداد، وتشاء الأقدار أن أعود إليها بعد طول هذا العمر سنة 2015 عندما عادت للظهور من جديد." (الرايس،2018: 186)

وهنا يتحقق التعالق النصي الذي يعمل على إبراز تلك الترابطات التي تربط النص الراهن بالنصوص الأخرى للمؤلف(العلاق، 2002: 52) ، ويعد موجهاً قرائياً يربط بين داخل النص وخارج النص، ويؤكد مرجعية

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

الأحداث ونسبها إلى المؤلف؛ إذ يعود مقال " كتابة على الكتابة " للكاتبة نفسها، وهو المقال الذي رفدت به مجلة "ألف باء" التي ضمت بين طيّات صفحاتها وأعدادها التجربة الأولى في الكتابة الأدبية لحياة الرايس.

وفي ثنايا ما كان يعتمل ذاتياً ونفسياً تُحدثنا المؤلفة- الساردة عن أيامها طالبة في القسم الداخلي في بغداد، وتستعيد حرارة الذكرى المتجسدة في حيوية الحدث على ما فيها من صفاء وانفتاح وصدق وألفة.

"أخذتني من يدي وذهبت بي إلى غرفة، في آخر الممّر، الموحش، العتم، من الجهة الثّانية بها طالبتان عراقيتان، صغيرتان، جاءتا حديثاً، من محافظة الأنبار كما فهمت، حكتهما باللّهجة العراقيّة ولم أفهم كثيراً، سوى:"خطيّة طالبة تونسيّة، تركت أهلها وجاءت للدراسة، خطيّة، تونس كلّش بعيدة..." فهبّتا إليّ وصرختا بعفوية فضولية:" تونسيّة؟ أوّل مرّة نرى في حياتنا بنيّة تونسيّة" وهلّلتا لمقدمي وأكرمتاني، ثمّ وضعت إحداهما، طنجرة "دولما" (الأكلة العراقيّة الأشهر) على الطاولة وعزمتاني على العشاء."

وينفتح السرد على الفضاء العام، لتصوير البعد السياسي للكشف عن حالات الفوبيا التي يعيشها العراقيون في ظلّ حزب البعث، لاسيما شريحة الطالبات الجامعيات اللواتي يتعرضن باستمرار إلى الإرهاب ووسائل التجسس البشعة التي ينشرونها بينهن، وفي هذا الاطار تكشفت لنا عن حالة عاشتها "حياة" في القسم الداخلي الكائن في الوزيرية.

"ومرّة دخلت صديقتنا نهى اللّبنانية، مخلوعة القلب إلى غرفتنا بالسّكن الدّاخلي الرئيسي بالوزيريّة: الغرفة رقم 51 التّي لا تنسى من كثر ما رأينا فيها من أهوال..أخذتني من يدي، أنا وصباح، وخرجت بنا إلى الشّرفة لتهمس لنا: أنّ الشباب في الكليّة نبّهوها أنّ غرفنا مراقبة، وأنّ بها أجهزة وأسلاك تنصّت داخل الحيطان وبين خشب الأسرة وخزائن ثيابنا، أخفيت بسريّة محكمة، موصولة بمركز الاستخبارات العامّة. صمّمها المهندسون الروس عند بناء السكن، فأصابنا الهلع ورحنا نراجع أقوالنا، إن كنا قد تفوّهنا بكلام يخص حزب البعث أوانتقدنا موقفاً أوتناولنا سيرة السّاسة والحكام ودولة صدّام حسين وحاشيته أو مسسنا بشخصه" (الرايس،2018: 159)

لقد لاحظنا أن الروائية- الساردة تقتنص الأحداث وتمظهراتها معتمدة على الانتقائية بحيث تحقق نوعاً من الترابط من خلال نسج شبكة من العلاقات والدلالات التي تربط الأحداث بعضها بالبعض الآخر على نحو يُحافظ على حيويّة الجانب الواقعي للأحداث.

المكان:

كان لرسم المكان السردي السيرذاتي وهندسته حضوراً طاغياً في تشكيل فضاء الحكي داخل الرواية، التي تروي "سيرة مكان- يتراوح بين تونس وبغداد" وهو جزء لا يتجزأ من واقع حياة "حياة الرايس" الحيوي والإبداعي، وقد خصّت بغداد بخصوصية على النحو الذي شكّلت مفصلاً مركزيّاً من مفاصل الفعل السردي في الرواية.

إن الفضاء بالنسبة للشخصيات هو الأداة التي تعبر بها عن مواقفها وهويتها، فوجود الإنسان لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان، فهو الذي يؤكد إحساسه بذاته وكيانه (ابراهيم،1995 :104)؛ لذا فإنّ فضاء بغداد تحوّل عند "حياة الرايس" الشخصية البطلة في الرواية ومؤلفة النص إلى حياة كاملة تتنفّس فيها خصوصيتها وتميّزها عن بنات جيلها وطموحها، فهو على هذا الأساس الجزء الأكثر فاعلية في الرواية السيرذاتية والأكثر تدخّلاً في صوغ شخصيتها الاجتماعية والثقافية والأدبية.

"وأنا كنت أظنّ أنّني أسافر إلى بلاد شهرزاد لمواصلة الحكاية...وشمّ عبق ألف ليلة وليلة وتتبّع مساربها ودروبها السّاحرة. والتوحّد ب "عشتار"ربّة الحبّ والخصب ... واقتفاء آثار جلجامش في البحث عن عشبة الخلود... والحلم بكتابي الأوّل في مطابع شارع المتنبّي، وانطلاقتي الأدبية من بغداد في رحاب بيت الحكمة، وأحلم بمشروعي الأدبي الذي أزعم أنه سيخلّدني، لكي لا أكون مجرد عابرة في هذا الزمن.

هكذا كانت بغداد في مخيال كلّ واحد منّا...." (الرايس،2018: 13)

وقد وجدنا المكان في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" يُعبر عن عادات شخوص الرواية ومعتقداتهم، من خلال ما يتجلى في ذاكرة الساردة-الروائية التي عاشت وشهدت هذه الأماكن منذ الطفولة، حيث عملت على لملمة شتات الذكريات وحشدها في مجال سيرذاتي يسهل استرجاعه داخل فضاء الرواية، ومن هذه الأماكن "زاوية سيدي الفهري" وهو مزار كان يقصده التوانسة للتبرك فيه.

"كانت هيّ أيضاً تتردّد على "زاوية سيدي الفهري" مثل كلّ العائلة تحمل الشموع والبخور وتعقد النيّة وتكثر من الدعاء والتوسّل بالولي الصالح أن يحقق حلمها وحلم كلّ العائلة بالذكر، حكايات كثيرة كنت أسمعها منذ صغري، عن بركات سيدي الفهري واعتقادات العامّة وعاداتهم وتقاليدهم." (الرايس،2018: 27)

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

وكان وصف المكان يعمل بطاقة تشكيلية وديكورية تبرز وحدات المكان وتؤنسنه وتبعث الروح فيه، لاسيما في حديث السادرة عن أجواء بغداد كما في هذا المقطع الذي يجعل القارئ يشعر بألفة المكان ، ويعيشه ويتنفس هواءه :

"كانت حدائق دجلة مسرحاً في حدّ ذاتها: قصص وحكايات وسهر وعشاق وعذابات وأشواق ولقاءات....وكان ليل دجلة ليل حبّ وأنس وطرب ومرح وجدّ وهزل وجدل... طافحا بأمواج الناس...راصداً حقيقيّا لنبض الهدير اللّيلي لبغداد خاصّة وقت الاحتفالات ومصاحبة الفرق الغنائيّة في المواسم والأعياد، يحرسه تمثال أبو نؤاس يرنو من بعيد بعين الرّضا إلى الجموع التي تتدفّق بالحياة، بيده كأسه الشهير، الطافح شبقا وعشقا، النّاهل من كلّ متع الأرض على اختلافها، لشاعر خالد لا يموت... بعد أن أبدع في تصميمه الفنان إسماعيل فتّاح الترك في العام 1972" (الرايس،2018: 168)

ووصف المكان في المقطع السابق يكشف عن علاقتها الروحية مع فضاء المدينة، حيث يصبح المكان مجسداً لحدود العالم الحسي المعنوي الذي تعيش فيه الشخصية.

وفضاء مدينة بغداد حاضراً بأبعاده الطبيعية والتاريخية المتميزة، فالروايـــة مفعمة بالتاريخ وسيرة المكان.

"أبي كان يحّن إلى بغداد، مركز الخلافة الإسلامية، بلاد هارون الرّشيد وبيت الحكمة والجامعة المستنصريّة، والنهضة العلميّة الحديثة والشّرق المتمسّك بدينة في مقابل الغرب المتفسّخ" (الرايس،2018: 13)

وينفتح المقطع الآخر على تأكيد خصوصية العراق وبغداد المدينة التي عاشت فيها "حياة الرايس" مدة أربع سنوات حتى تخرجها من جامعتها، استجابةً لرغبتها بتوكيد ذاتيتها المكانية والزمنية والحدثية على لسان ما قالته امرأة عراقية كبيرة في السن كانت قد جلست "حياة" إلى جانبها في الحافلة التي استقلتها في بغداد أثناء عودتها من تونس ، وكانت الحرب العراقية الإيرانية قد اندلعت في ثمانينيات القرن الماضي:

" خطيّة طالبة عربيّة، إجّتي من تونس على مود تكمل دراستها بالعراق، خطيّة، ما تقبل تعوف العراق بهالظروف "، وكانت تدمع عيناي لسماع كلماتها، الّتي لم استطع أن أقولها، والّتي كانت أقوى وأحّن مما لو كانت تخرج من فمي، أحسست حينها أن "عشتار": الأمّ الكبرى، هي التّي تتكلّم...وأنّني أغفو على ضفّة نهر دجلة...تحتضنني حضارة بلاد الرافدين...

بروحي تلك الأرض... ما أعظم الذكرى..." (الرايس،2018: 212)

إن الأماكن التي ورد ذكرها في الرواية بأسمائها الواقعية، وأوصافها الدقيقة، والملامح التأريخية التي تنتمي لها ما هي إلا توسيع للإشارات السيرذاتية عبر قصدية واضحة لسيرنة الرواية.

المبحث الثالث: العتبات بوصفها موازيّاً سيّريّاً روائياً

1- العنوان:

أول ما يطالعنا من هذه العتبات هي عتبة العنوان ويعد العنوان علامة ذات دلالة وبعد إيحائي في عملية تأويل النص واختزاله، ويلعب دوراً مهماً في تعيين طبيعة النص الذي يسمّه.

وتخضع مسألة اختيار العنوان وبنائه في تشكيله اللغوي والتركيبي لوعي الفنان وإدراكه العميق لأسرار المفردة وقيمتها التعبيرية، وقدرته على ضخها بكثافة تدليل تناسب رؤيته لعمله بحيث يدرك درجة تأثيرها فيه. (عبيد، 2007: 174)

يُشكل العنوان في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" ملمحاً سيرذاتياً مهماً يؤكد للمتلقي تحقق عملية التهجين بين الرواية والسيرة الذاتية؛ إذ أن العنوان هو عبارة سمعتها الروائية "حياة الرايس" من مذيع راديو السيارة الذي استقلتها حال وصولها من تونس إلى بغداد متجهة إلى القسم الداخلي الذي ستسكن فيه طوال فترة دراستها في جامعة بغداد في سبعينيات القرن الماضي، وهو صوت بقي يرن في قاع اذنها "فاصلاً بين حياتين وقدرين: بين تونس وبغداد" (الرايس،2018: 12) أما سبب بقاء هذه العبارة التي سمعتها من المذيع تتردد على مخيلتها، ثم جعلتها فيما بعد عنواناً لمنجزها الروائي هذا هو تعبير عن حبها لبغداد التي أصبحت فيما بعد من المدن المهمة في تأريخها الثقافي والاجتماعي والروائي.

هذا العنوان الذي جمع بين عنصري الزمان والمكان خضع لآليات الراوي السيرذاتي في الاسترجاع فبغداد المدينة المعروفة التي حققت انتقاله كبيرة في حياة الروائية "حياة الرايس" عندما جاءت قادمة من تونس لتحقق حلمها بإكمال دراستها الجامعية التي حُرمت منها أقرانها من نساء العيلة (الرايس،2018: 15)"بغداد وقد انتصف الليل فيها" جملة يحفل بها معجم الذاكرة الجمعية العراقية تعود لبغداد في زمن ما ووجودها عنواناً على

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

غلاف الرواية لا شك أنه سيكون مثيراً للقارئ، ومستفزاً لشهوة القراءة عنده التي تدفعه لاقتناء الرواية، والتنقيب عن سر اختيار هذه الجملة بالذات وتعيينها عنواناً للنص، وارتباطها بعنوانات فرعية أخرى داخل النص جاءت تكراراً للعنوان الرئيس؛ إذ نجد الكاتبة تهتم بربط العنوان بنصها وبالعكس، والعنوان حين يصبح جملة من النص، يُقيم الترابط العضوي والمعنوي والموضوعي ويكون هادفاً، ومتفاعلاً مع النص، ومحققاً وظيفته الفنية، فالبعد المكاني يتمثل بمدينة بغداد، و"بغداد" أولى بؤر الإشعاع التي تؤسس السمت الدلالي للنص، وهي إن صح التعبير النواة التي خاطت الروائية عليها نسيج النص، ثم يأتي البعد الزماني" وقد انتصف الليل فيها" ليكمل نواة العنونة فهو العلامة التي أحدثت الانتقالة من صباح تونس إلى ليل بغداد وهو التوقيت الذي وصلت فيه "حياة الرايس" إلى بغداد.

2- العنوان الموازي:

عَمِدَت الكاتبة على وضع عنواناً موازيّاً للعنوان الرئيس كتبت فيه: "مذكراتي الجامعية في بغداد" ، وهو مؤشراً إجناسيّاً يوثق المرجعية الذاتية لأحداث الرواية، ويؤكد عملية التمازج والتلاقح بين الذاتي والروائي أو الواقع والمتخيل في صياغة أحداث الرواية، فالرواية تتحدث عن أحداث عاشتها وشهدتها "حياة الرايس" الشخصية المركزية في النص ومؤلفة الرواية عندما كانت طالبة في كلية الآداب بجامعة بغداد، وهنا تستمد الروائية أحداث روايتها بالعودة إلى الذاكرة التي هي المصدر المهم هنا لتمويل نصها الروائي على الرغم من الإشكالية التي تترتب على تدوين المادة المتذكرة كونها تندرج تحت نص جنسته الكاتبة على أنه رواية على غلافها الخارجي، والمفارقة هنا أن الكاتبة فاجأت المتلقي في الصفحة الخامسة من روايتها أن ما كتبته هو "رواية سيرة شخصية" (الرايس،2018: 5) ،وهي بذلك تضيف تجنيساً آخر إلى جانب ما ذكرته على صفحة الغلاف الخارجي، وهو "الرواية السيرذاتية" ليتكشف لنا عن لعب كبير في مفاصل السرد غير مذعن للشروط الصارمة في كتابة السيرة الذاتية الخالصة ولا للأصول التقليدية في كتابة الرواية ويُنبئ عن حدوث خلخلة اجناسية جعلت من عملها يدخل في سرد ما بعد الحداثة.

3- الاستهلال:

إن عتبة الاستهلال من العتبات المهمة لأنها تُشكل مدخلاً موضوعيّاً للرواية، وتحقق تفاعلاً بين الكاتب والمتلقي لاستنادها على الرصيد الثقافي العام لكليهما (علوش،1986: 32).

وتستغل الكاتبة بنية الاستهلال لتقدم من خلالها صورة مكثفة عن دوافعها في الكتابة؛ إذ تقول: "قدري أن أكتب خلودي بالكلمة كوهم جميل يساعدني على البقاء" (الرايس،2018: 6) في مسعى من الذات الروائية لتخليد ذاتها والكشف عن وجهها الأنوي المتمركز في قلب الجملة الاستهلالية، ومن ثَمَّ توجيه القراءة وجهة أنوية تتواءم مع قراءة النص قراءة رواية سيرذاتية

وهي تكشف للقارئ عن مقصدية معينة مفادها أنها مغرمة بالحديث عن ذاتها، وأن التجربة قد بلغت شأواً كبيراً على مستوى الزمن والإنجاز على حدّ سواء، بحيث تتاح لها فرصة استرجاع رؤيتها وتمثّلها والحديث عنها ومقاربة رؤاها العميقة، من خلال ذاكرة نشطة تتوقف عند المحطّات والمساقات الأكثر حيوية وجاذبية في تاريخها الاجتماعي والثقافي والفكري تصوغها في قالب روائي مشوق.

4-الإهداء

الإهداء من العتبات التي تُسهم في إظهار الميزة الأساسية للعمل الأدبي، وتُفصح عن العلاقة بين العمل نفسه، وشكل ظهوره إلى المتلقي بكل علاقاته وتجسيداته المختلفة (بارت،2001: 75)، كما أنها تلعب دوراً مهماً في نوعية القراءة وتوجيهها (بلال،2000: 16)؛ لذا حدَّد جينيت وظيفتين للإهداء الأولى: هي الوظيفة الدلالية وتبحث في المعنى وما يحمله الإهداء من دلالة للمهدى إليه، والعلاقة التي ستنتج من خلالها، أما الوظيفة الثانية: فهي الوظيفة التأويلية فقد جاءت لتقوية العلاقة بين الكاتب والقارئ عامة. (حمداوي،2012: 3)

ونوع الإهداء في هذه الرواية هو إهداء خاص خصَّت به الروائية أديبان معروفان هما جبرا إبراهيم جبرا وسهيل إدريس جزءاً من الوفاء إليهما لتشجيعها على كتابة الرواية.

"إلى روحي الروائيين: جبرا إبراهيم جبرا وسهيل إدريس

جبرا الذي حرضني على كتابة الرواية أول يوم رآني فيه وسهيل إدريس الذي انتظر روايتي طويلاً ومات دون أن تُنجز"

وجاء الإهداء يناسب طبيعة ومكانة الشخصيتين اللتين توجه الإهداء إليهما، ويكشف حال قراءته عن الطابع الخاص، فضلاً عن انه يخلق حالة من الدهشة و التشويق لدى القارئ لمعرفة سر هذا الإهداء أثناء الولوج في

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

قراءة المتن، فقد كان التواصل مع هذين الأديبين له أثر واضح في حياة الراوية/المؤلفة وعملها صحفيّة وأديبة ، ولاسيما مع الأديب الكبير جبرا إبراهيم جبرا ،"ليكون أول حوار أدبي أجريه في حياتي الصحفية مع الأديب الكبير جبرا ابراهيم جبرا".(الرايس،2018: 189)

فالإهداء هو تكريم واحتفاء بالمتلقي وتعبير عما يحظى به من اعتبار وتقدير من قبل المؤلف (حمداوي،2012: 10)ومن هنا تظهر أهمية المهدي إليه في علاقته بالكاتب من جهة، ومن جهة أخرى قيمة النص في علاقته بالمهدى إليه.

.5-المقدمة:

تعد المقدمة من العتبات النصية المهمة التي لا يمكن أن نتغاضى عن أهميتها ومكانتها بالنسبة للنص الأصلي، وتتأتى أهميتها من أنها تخدم القارئ والنص، فقد تكون تلك العتبة بمثابة خطاب مواز أو مصاحب يشرح فيها المقدم إيجابيات العمل دلالةً وصياغةً، واحياناً تقدم شرحاً لدوافع الكتابة، وما يتميز به الكاتب من المهارات الجمالية في الكتابة، وتهيئة القارئ إلى مشروع (ما بعد المقدمة) وهو المتن؛ لذا فهي ضرورة قرائية لدخول فضاء النص، وهذا يحد من إمكانية تجاوزها إلى المتن مباشرةً. (بلال،2000: 52)

وهناك ثلاثة أنواع من المقدمات :

1- المقدمة الذاتية التي يكتبها المؤلف.
2- المقدمة الغيرية التي يقوم بكتابتها كاتب آخر غير المؤلف ، لكنه لابد أن يكون مختصاً أو ناقداً أو حتى روائياً.
3- تخيلية تكتبها إحدى شخصيات النص.(الشهبون، 2004: 631)

وتقع المقدمة في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" ضمن النوع الثاني وهي المقدمة الغيرية التي كتبتها الناقدة التونسية جليلة طريطر تشير فيها إلى أن الروائية حياة الرايس كانت تونسية المولد بغدادية التكوين، فهي لا تشعر بالإحساس الكامل بألفة المكان حسب، بل تعيشه وتتنفس هواءه ، وأن روايتها تلامس الذاكرة وبمثابة وثيقة تأريخية أرخت فيها لحقبة مهمة من حقب العراق وأحداثه التأريخية كما حصلت على أرض الواقع، وقضايا مهمة في تكوين المجتمع العراقي؛ لذا فإن طريطر تُصرح بأن هذا النص "يعرض علينا مغامرة سيرذاتية" (الرايس،2018: 10) بكل ما توافرت فيه من عناصر الإمتاع والإدهاش، بصوتها الأنثوي الذي يقترب من صوت شهرزاد في القص والحكي وكسب الرهان في إثبات الذات، والبقاء على قيد الحياة، فالسرد الأنثوي يلوح بنسبه إلى الماضي البعيد المنغرس في بلاد ما بين النهرين، إنَّه صوت شهرزاد الأم يصدح من جديد ليُمتع مسامعنا.

وأشارت المقدمة إلى أن حياة الرايس وجدت ذاتها تتحقق في ممارسة الكتابة في مجتمع شديد الذكورة يقوم على الفصل الجنسي في أكثر مرافقه ومؤسساته، وهو ما شكل تصادما

حقيقياً مع المجتمع الذي نشأت فيه وتفتحت فكرياً، وهو مجتمع يُعاني من خطاب الذكورة وهيمنته على حياة المرأة وإبداعها.

إن المقدمة التي وضعتها الناقدة طريطر تستدرج القارئ إلى خضم التجربة الشعورية للذات وهي تستعيد ذكرياتها، وتوجهه صوب تلقي رواية سيرة ذاتية، فضلاً عن البوح للقارئ بخبايا وأسرار المتن.

6- عتبة الغلاف:

من أهداف عتبة الغلاف هي لفت انتباه القارئ وتشجيعه على اقتناء الكتاب ورسم ملامح هويته بوصفها العتبة الأولى للاتصال مع المتلقي والبوابة الرئيسة التي يدخل منها إلى عالم النص.

وان أهم ما تحتوي عليه عتبة الغلاف هو اسم المؤلف، الذي نُقش في منتصف الجهة العليا من الغلاف، بلون أبيض وخط واضح، وبما أن الميثاق الروائي "عماده نفي التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف الخارجي للرواية واسم الشخصية في النص" (المبخوت،1992: 15)، فإن تحقق التطابق الاسمي بين المؤلفة القابع اسمها على الغلاف الخارجي واسم الشخصية المركزية في رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها" يجعل القارئ يُخرج النص من جنس الرواية الخالصة ويتقصى كل إمكانية للتخييل ليضعها في الحقل السيرذاتي، فالتطابق الاسمي "هو العلامة الوحيدة في النص (خارج-نص) لا ريب فيه، تحيل إلى شخص واقعي يطلب بهذه الطريقة أن تنسب إليه في آخر المطاف مسؤولية تلفظ النص المكتوب برمته. إن اسم العلم علامة دالة وهو الإشارة الوحيدة إلى وجود المؤلف... داخل النص" (الطالب،1997: 18)

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

والى يسار الاسم تقع صورة المؤلفة ترتدي سترة خضراء وهي تبتسم ابتسامة جميلة في إشارة إلى السعادة والرضا الذي عاشته وهي طالبة في ظلِّ أجواء بغدادية ممتعة، وقد تمثل العنوان بعبارة "بغداد وقد انتصف الليل فيها" تلك العبارة التي سحرتها وهي تفتتح بها حياة جديدة في بلد آخر غير بلدها وبخط كبير مطعم باللونين البني، والأسود، وقد شغل المساحة السفلى من جهة اليمين للغلاف.

ودِّون تحت الصورة مباشرة قائمة تضمنت المنجزات الإبداعية للروائية وهي تحتفي بمجمل نشاطها الأدبي أمام القارئ الذي يقتني روايتها؛ إذ قد يكون هذا القارئ غير مطلع على الأعمال السابقة للروائية، فجاءت القائمة للتعريف بالسيرة الأدبية للكاتبة.

واحتوى الغلاف على يمينه صورة كبيرة لمجموعة من الفتيات العراقيات الجامعيات في سبعينيات القرن الماضي في بغداد، وهن في حالة من الجمال والرُّقي الذي يُشير إلى ثقافة المجتمع العراقي في بغداد آنذاك، تعلوها صورة الروائية بنظارة شمسية تعود إلى ذلك الزمن، وقد توسط الغلاف مشهد رسم لصورة تجسد شكل مدينة بغداد في السبعينيات والحافلة الحمراء ذو الطابقين التي كانت تعمل لنقل البغداديين بين مناطق المدينة، وخلفها النخيل الذي اشتهرت به معظم مدن العراق ، وجامع الخلاني المعروف وهو معلم من معالم مدينة بغداد.

وفي أسفل الزاوية اليسرى للغلاف وردت لفظة "ميارة" وهو اسم دار النشر التي تولت طبع الرواية وتوزيعها.

أما أسفل الزاوية اليمنى للكتاب كُتب كلمة "رواية" التي تُجنس العمل على أنه رواية خالصة، وهو ما سيخالفه تصريح الكاتبة في المتن بأن النص رواية سيرية، فضلاً عن الاعترافات والإشارات المبثوثة في كل فصل من فصول الرواية وقد ذكرناها في بداية بحثنا هذا.

أما الغلاف الخلفي للرواية فلا تقل قيمة محتوياته عن قيمة محتوى الغلاف الأمامي؛ إذ شكل امتداداً طبيعياً له ولمحتوياته، فقد تضمن قائمة أخرى من منجزات الكاتبة الإبداعية تعد تكملة للمنجزات التي دُوِّنت على الغلاف الأمامي للرواية، وتم إعادة وضع الصورة البغدادية في الأعلى إلى جهة اليسار، ولكن بحجم أصغر من التي ظهرت فيه على الغلاف الأمامي، وإعادة شعار دار النشر "ميارة" في أسفل الغلاف وإلى يساره رقم الإيداع الدولي للرواية، ويكمن تكرار هذه الايقونات على الغلاف الخلفي للرواية في تأكيد المعنى الكامن في واجهة النص والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتن القابع خلفه.

ونقش على يسار الغلاف جزء من مقدمة جليلة طريطر على شكل إطار في إشارة إلى اعتزاز الروائية بشهادة الناقدة التي كتبتها بوصفها مقدمة لروايتها.

الخاتمة:

استطاعت الروائية استثمار إمكانات الرواية والسيرة الذاتية في النوع الجديد انطلاقاً من قصدها الذي تبتغي فيه استعادة تجاربها الشخصية وإحالاتها الواقعيّة المنتمية إلى حرارة الحياة وتدفّقها وصيرورتها، جمعت فيها بين عذوبة السّرد وجمال الأسلوب، وكثافة المعلومات التّاريخيّة والاجتماعيّة عن تونس والعراق، بقصدية تتحرى فيها الروائية علاقة أوثق مع مجتمع القراءة والتلقّي، فالرؤية الجماليّة للخطاب الأدبيّ تتجلى من خلال تلمّس حيويّة الجانب الواقعي للأحداث المؤثر في صميم وعي مجتمع القراءة وثقافته وحساسيّته.

لقد أفصحت الرواية عن الشخصية النمطية التي مثلتها "حياة الرايس" عن فئة النساء وكإنها تختزل في سيرتها التي بثتها في روايتها صورة المرأة العربية الحالمة بتحقيق ذاتها، ومحاولة البوح بالمحرم والممنوع في مجتمعاتنا، والتقدم نحو كسر قيود العادات التي أطاحت بأحلام وأماني الكثير من النساء وجعلت منهن مذخر أمومي للولادة والخدمة المنزلية؛ لذا فقد منحها السرد الروائي متنفساً للتعبير بكل حرية ووعي لتصبح (ذاتها) معبراً إلى (ذات) جماعية.

واحتل المكان في الرواية حيزاً كبيراً فقد أعطت الكاتبة هذا العنصر اهتماماً خاصاً ابتداءاً من العتبات؛ إذ اختلطت فيها كتابة الذات بسيرة المكان وكثيراً ما رحلت بنا ذاكرتها إلى تأريخ وأحداث الأماكن التي كان لها أثراً واضحاً بحياتها وبناء شخصيتها، لاسيما مدينة بغداد التي تناولت أحداثها التأريخية، والسياسية، وطبيعتها الاجتماعية بالتفصيل.

وقد لعب النظام العتباتي في الرواية دوراً بارزاً في شحن الأحداث السير ذاتية، فقد كثّفت التركيز على الأنا حيث يؤدي ذلك دوراً مهماً في إظهار قدرٍ عالٍ من التطابق، لاسيما اسم المؤلف المثبت على الغلاف والمتطابق مع اسم الشخصية المركزية في النص، ووفرت العتبات للروائية مساحة إضافية لعرض فكرتها بشكل متكامل مع المتن الروائي، وحملت توجهاتها في تحفيز الذاكرة لاسترجاع مادة صورية ولغوية لها ارتباط وثيق

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

بتأريخ الذات، لاسيما عتبة العنوان والغلاف؛ إذ جاءت فصول الرواية لتلبي وتكمل الصورة التي حاولت أن ترسمها عين القارئ عن الرواية.

وأخيرا فقد أتسم هذا التلاقح بين السيرة الذاتية والرواية بانسيابية اشتغال مكونات النوعين مع بعضها البعض، ومنح الروائية التحرك داخل فضائها السردي، وهي التي خَبِرتْ كثيراً من الأجناس الأدبية في الكتابة الشعرية والسردية وأدب الرحلات، وهذا لعب دوراً كبيراً في إضفاء البعد الجمالي والحيوية على النص.

المصادر

1- ابراهيم ، نبيلة (1995) : فن القصة في النظرية والتطبيق ، دار قباء للطباعة والنشر.
2- باختين ، ميخائيل ، 1994) : الخطاب الروائي ترجمة : محمد برادة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت.
3- الباردي ، محمد (1997) : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث : حدود الجنس وإشكالاته ، مجلة فصول، القاهرة، المجلد 16، العدد 3.
4- بارت ، رولان (2001) : من البنيوية إلى الشعرية ، ترجمة : غسان السيد ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، وزارة الاعلام ، دمشق.
5- بلال ، عبد الرزاق (2000) : مدخل إلى عتبات النص : دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، تقديم : إدريس نقوري ، أفريقيا الشرق ، المغرب.
6- التميمي ، فاضل عبود (2018) : السيرة الذاتية من احسان عباس الى علي جواد الطاهر(قراءات) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان.
7- حمداوي ، جميل (2012) : عتبة الإهداء ، ديوان العرب للثقافة والفكر والأدب 15 سبتمبر.
8- الرايس ، حياة (2018) : رواية "بغداد وقد انتصف الليل فيها"، دار ميارة للنشر والتوزيع ، تونس .
9- الشبهون ، عبد الملك (2004) : خطاب المقدمات في الرواية العربية: التنوع والشكل والوظائف الفنية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلد 33 ، العدد 2.
10- الطالب ، عمر (1997) : مفهوم الرواية السّيرية، ، مجلة صوت ، نينوى ، العدد1.
11- عبد الدايم ، ابراهيم (1987) : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
12- عبيد ، محمد صابر (2007) : العنوان الروائي وبلاغة العلامة الجمالية قراءة سيميائية في رواية (المصابيح الزرق) لحنا مينه ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، السنة السادسة والثلاثون ، حزيران.
13- عبيد ، محمد صابر(2005) : تمظهرات التشكيل السيرذاتي- قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق.
14- العلاق ، علي جعفر ، (2002) : الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان.
15- علوش ، سعيد (1986) : عنف المتخيل الروائي في أعمال إيميل حبيبي ، البيضاء ، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع.
16- العمامي ، محمد نجيب (2001) : الراوي في السرد العربي المعاصر ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، تونس .
17- الكردي ، عبد الرحيم (2006) : الراوي والنص القصصي ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
18- كومفورت ، اليكس (2005) : الرواية وعصرنا ، الناقد الانكليزي ، ترجمة: عادل خضير النجار، مجلة الأقلام ، العددان3-4 آذار- نيسان ، السنة الأربعون.
19- لوجون ، فيليب (1994) : لميثاق والتاريخ الأدبي ، ترجمة :عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ،.
20- المبخوت ، شكري (1992) : سيرة الغائب سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، دار الجنوب للنشر ، تونس.
21- مورو ، أندريه (1987) : أوجه السيرة ، ناجي الحديثي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد.

DOI: 10.33193/JALHSS.56.2020.176
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (56) August 2020
العدد (56) أغسطس 2020

References

1. Ibrahim, Nabila (1995): The Art of Story in Theory and Practice, Qebaa House for Printing and Publishing.
2. Bakhtin, Michael, 1994): the narrative discourse translated by: Muhammad Barrada, Arab Cultural Center, Beirut.
3. Al-Bardi, Muhammad (1997): A Biography in Modern Arab Literature: The Limits and Problems of Sex, Fasoul Magazine, Cairo, Volume 16, No. 3.
4. Bart, Roland (2001): From structuralism to poetry, translation: Ghassan Al-Sayed, Nineveh House for Studies, Publishing and Distribution, Ministry of Information, Damascus.
5. Bilal, Abdel-Razzaq (2000): An Introduction to the Thresholds of the Text: A Study of the Introductions to Ancient Arab Criticism, Presented by: Idris Naqouri, East Africa, Morocco.
6. Al-Tamimi, Fadel Aboud (2018): A Biography from Ihsan Abbas to Ali Jawad Al-Tahir (Qaraat), Majdalawi Publishing and Distribution, Amman.
7. Hamdaoui, Jameel (2012): The Gifting Threshold, Diwan of Arabs for Culture, Thought and Literature, September 15.
8. Al-Rayyis, Hayat (2018): The novel "Baghdad has been midnight", Dar Mayara for Publishing and Distribution, Tunis.
9. Al-Shabhoun, Abd al-Malik (2004): Introductory Speech in the Arabic Novel: Diversity, Format and Artistic Functions, World of Thought Magazine, Kuwait, Volume 33, No. 2.
10. The Student, Omar (1997): The Concept of the Secret Novel, Voice Magazine, Nineveh, No. 1.
11. Abdel Dayem, Ibrahim (1987): Self-translation in modern Arabic literature, Arab Renaissance House for Printing and Publishing, Beirut.
12. Obeid, Muhammad Saber (2007): The novelist title and the aesthetic eloquence of a semiotic reading in the novel (The Blue Lantern) by Hanna Meneh, Journal of Literary Situation, Damascus, thirty-sixth year, June.
13. Obaid, Muhammad Saber (2005): Demonstration of the Sirthah Formation - Reading in the Experience of Muhammad al-Qaisi Biographies, Arab Writers Union, Damascus.
14. Al-Alaq, Ali Jaafar, (2002): The Visual Significance: Readings in the Poetry of the Modern Poem, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman.
15. Alloush, Saeed (1986): Violence of the fictional narrator in the works of Emile Habibi, Al Bayda, The Modern Publishing and Distribution Institution.
16. Al-Amami, Mohamed Naguib (2001): The Narrator in Contemporary Arab Narration, Dar Mohamed Ali Al-Hami for Publishing and Distribution, Tunisia.
17. Al-Kurdi, Abdul Rahim (2006): The Narrator and the Narrative Text, Literature Library, Cairo.
18. Comfort, Alex (2005): The Novel and Our Times, the English critic, translation: Adel Khudair Al-Najjar, The Pens Magazine, No. 3-4 March - April, 40th year.
19. Logon, Philip (1994): The Charter and Literary History, translation: Omar Hali, The Arab Cultural Center,.
20. Al-Mabkhout, Shukry (1992): biography of the absentee, the biography of the following: a biography in the book of days, Taha Hussein, Dar Al-Janoub for Publishing, Tunisia.
21. Moreau, André (1987): A Biography, Naji Al-Hadithi, Freedom House Printing, Baghdad.